المحور: المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني

المحاضرة- الـــــــــــــــــــزوايـا:

1-لمحة عامة عن الزوايا: يطلق اسم الزاوية على طائفة من الأبنية ذات الطابع المعماري الديني، وهي تشبه المدرسة أو الدير، وهي تجمع غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين، أو ولي من الأشراف في اعتقاد الناس، وقد لا يكون غير ذلك، ويعلو المبنى قبة ومقصورة للصلاة، ثم غرفا مخصصة لاستقبال المسافرين وعابري السبيل وحتى الطلبة[1].

أما عن تسمية الزاوية بهذا الاسم، فيرى محمد علي دبوز أنها جاءت إما لانزوائها عن المدينة باعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية، أو لأن وجودها كان دوما في زاوية وأطراف المدينة أو ركن منزو بها[2]، في حين يرى البعض الآخر أن زاوية مأخوذة من الفعل انزوى ينزوي بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد[3].

وقد تطور مفهوم الزاوية بتطور المراحل التاريخية، وأصبح مصطلح الزاوية في بلاد المغرب حوالي القرن 13م مرادفا للرابطة، أي الخلوة التي كان يعتزل فيها الوالي ويعيش مع تلاميذه ومريديه، ولم تبق فكرة الزاوية هي الرباط الذي جمع بين الدين والجهاد ونشر الإسلام والفقه ونحوه[4].

وبذلك عرفت الزاوية في المغرب بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها المريد للذكر والأوراد وإسماعها للآخرين، وهي مأوى أيضا للطلبة وطلاب العلم ورجال الدين، الذين كانوا يأتونها من أماكن عديدة، ومأوى أيضا لبقية الزوار الذين يقصدونها للاستفتاء أحيانا، وعقد الصلح بين المتخاصمين أحيانا أخرى، وقد كثرت هذه الزوايا مع بداية التاريخ الحديث، وخصوصا بعد بداية التحرش الاسباني

---

[1] مريوش، **مرجع سابق**، ص ص. 149-150.

[2] محمد علي دبوز ، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م، ج1، ص42.

[3] مريوش، **مرجع سابق**، ص ص. 151.

[4] نفسه، ص150.

والبرتغالي على سواحل بلاد المغرب، وبذلك داع صيتها، ونذكر من بينها زاوية عبد الرحمان اليلولي بمدينة الجزائر[1].

احتلت الزوايا الصدارة في المراكز الثقافية، خصوصا في تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الجزائريين، وكانت الزوايا منقسمة إلى قسمين أساسيين ألا وهما:

القسم الأول: يتولى تحفيظ القرآن الكريم وإسكان عابري السبيل، الذين تعلموا القراءة وحفظ القرآن الكريم في الكتاتيب القرآنية، وأما **القسم الثاني،** فيتولى تدريس بعض فنون الدين، كالفقه والقصائد الدينية والنحوية وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة والمنطق، وبعض المبادئ في علوم الفلك، وهذا النوع من الدراسة لا يحق إلا للمستظهرين الكتاب، أي حفظة القرآن الكريم[2].

أما عن محتويات الزاوية ومستلزماتها، فإنها عادة ما تتكون من بيت خاص لإسكان شيخها أو مريدها، مع وجود بيوت أخرى للضيوف، و وكيل الزاوية ومعلم الأطفال، والمسجد والمدرسة القرآنية، هذا إضافة إلى توفر مساكن خاصة للخدم، ومخازن حفظ المؤن، كما تحوي الزاوية حجرة تأوي الفقراء والذين لا مأوى لهم[3].

كان للزاوية أوقافها أيضا مثل المسجد، وفي عصر ساد فيه الجهل والخرافة، كان الناس بأوقافهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية أكثر من ميلهم إلى المسجد أو المدرسة، فقد كانت بعض الزوايا غنية، مثل زاوية المجاجي وزاوية القيطنة، فكلتاهما كانت تطعم الأعداد الكبيرة من الزائرين وتؤويهم وتعلمهم، وكان الواقفون والمتصدقون على الزوايا من عامة الناس يعتقدون أن جزاءهم يأتي بسرعة، وأن ذنوبهم تغفر في الحال، إذ يكفي أن يرضى عنهم الشيخ ويمنحهم بركاته، ومن الزوايا كثيرة الوقف، زاوية الولي داده، وزاوية أحمد بن عبد الله الجزائري، وزاوية سعيد قدورة التابعة للجامع الكبير، وكذلك الزاوية الطيبية بتلمسان[4].

---

[1] مريوش، **مرجع سابق**، ص.150.

[2] نفسه، ص. 153.

[3] نفسه، ص ص.153-154.

[4] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.270.

كانت بعض الزوايا متخصصة في استقبال نوع معين من الضيوف بنصوص أوقافها، فزاوية مولاي حسن بالعاصمة، كانت عبارة عن دار سكنى للعزاب، وزاوية سعيد قدورة مخصصة لاستقبال فقراء العلماء، وأما زاوية شيخ لبلاد، فلا يسكنها إلا الطلبة العثمانيون، كما أن زاوية القاضي المالكي التي أسسها مصطفى بن مصطفى(آغا الصبايحية) مخصصة لسكنى المالكية[1].

ومن أهم ما كان يميز بعض الزوايا والأضرحة كونها ملجأ يلجأ إليه الهاربون من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم، فقد كان الولاة والعامة يعتقدون في حصانة حمى الزاوية، ويكفي أن يهرب الجاني إلى هذا الحمى فلا يلحق به أحد ولا يمسه سلطان، وقد وقعت حوادث الفرار إلى زاوية الولي داده، وزاوية القليعة والثعالبي وغيرها، سواء من الولاة أنفسهم أو عامة الناس، ولا شك أن ذلك كان يدخل في في عقيدة الناس في صلاح الأولياء وقدرتهم على تسليط غضبهم على من يهين حماهم، فقد كان محيي الدين مقدم الطريقة القادرية (زاوية القيطنة)، يصف زاويته بأنها كمقام إبراهيم من دخلها كان آمنا[2].

2-أهم الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني بكثرة زواياها المنتشرة في الشمال والجنوب والشرق والغرب، فمدينة الجزائر العاصمة كانت تضم العديد من الزوايا، أشهرها زاوية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي التي أمر ببنائها الأمير الحاج أحمد بن الحاج المصلي سنة 1108هـ/1696م، وتشمل هذه الزاوية على مسجد صغير له منار أنيقة مربعة الشكل وقبة، وقبر الشيخ الثعالبي عليه تابوت، وعدة بيوت ومرافق وسكنى للوكيل متصلة بالمسجد، وفي الضريح قبور لعمر باشا ومصطفى باشا والحاج علي بن الحفاف والحاج أحمد باي قسنطينة[3].

أما زاوية الجامع الكبير، فقد تم بناؤها سنة 1039هـ/1630م من طرف المفتي المالكي الشيخ سعيد بن الحاج إبراهيم بفضل الفائض من أموال الحبوس التي كانت

---

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.270.

[2] نفسه، ج.1، ص.271.

[3] عبد القادر، **صفحات**، ص ص.171-172.

بيده، وتقع هذه الزاوية بنهج باب الجزيرة بالقرب من الجامع الكبير مشتملة على مسجد دون منارة ومدرسة للصغار، كما كانت تضم طابقين يضمان عددا من البيوت، مخصصة للعلماء من عابري السبيل أو الفقراء الذين لا مأوى لهم[1].

كما كانت زاوية الأندلسيين التي أنشأت سنة 1033هـ/1623م تقدم مساعدات للفقراء والمعوزين، الذين ينتسبون إلى جماعة الأندلس، بالإضافة إلى الدروس العلمية للكبار وتعليم القرآن الكريم والمبادئ للصغار [2]، وظلت هذه الزاوية قائمة بمهمتها إلى سنة 1843م[3]، بالإضافة إلى زاوية عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الجامع الكبير، وزاوية الأندلس، هناك قائمة طويلة نذكر منها: زاوية الولي داده، وزاوية عبد القادر الجيلاني، زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري صاحب ‹‹ المنظومة الجزائرية ››، وسيدي الجودي، وسيدي جمعة، وسيدي السعدي، وسيدي الفاسي، وسيدي بوعنان، وسيدي بوعتيقة، وفي النواحي المجاورة لمدينة الجزائر كانت زاوية القليعة، وزاوية المربوسي، وزاويتا النملي وخير الدين ببني موسى، وزاوية البركاني قرب شرشال[4].

وفي مدينة قسنطينة ونواحيها قائمة طويلة أخرى بلغت حسب بعض الاحصاءات، ست عشر زاوية، فهناك زوايا وخلوات سيدي الكتاني، وسيدي المناطقي،وسيدي عبد المؤمن، وسيدي ميمون، وسيدي عنان، وسيدي راشد، وسيدي التلمساني، كما كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها الخاصة مثل زاوية أولاد الفكون وزاوية ابن نعمون، وزاوية أولاد جلول، وفي إقليم قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي، وزاوية بني مقران، وزاوية مولاي الشقفة بين جيجل والقل[5].

واشتهرت أيضا تلمسان ونواحيها بزواياها، نذكر منها زاوية سيدي الذيب، وزاوية سيدي بومدين، وزاوية محمد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري، وزاوية عين الحوت،

---

[1] أشرف صالح، **مرجع سابق**، ص.68.

[2] عبد القادر، **صفحات**، ص ص.170-171.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني** ، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص.46.

[4] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص ص.263- 264.

[5] نفسه، ج.1، ص ص. 264- 265.

ومما يذكر أن الباي حسين قد أوقف سنة 1173هـ وقفا على زاوية مولاي الطيب الوزاني حين اشترى لها دارا بستين مثقالا ذهبا[1].

وتعتبر زواوة وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية، وكانت زاوية سيدي راشد (زاوية ابن أعراب) ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة، وممن تخرجوا منها محمد الضرير المشهور بالذباح، الذي تولى ولاية التيطري، أما زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية، فقد أخرجت أجيالا من المتعلمين، وكانت لها أوقاف كبيرة، وقد ظلت على عهدها بالتعليم إلى سنة 1228هـ حين أمر حسين باشا بغلقها بعد حادث وقع بها، وكانت تضم أكثر من مائتي طالب، واشتهرت بنشر التعليم أيضا زاوية الأزهري بآيت اسماعيل، وزاوية ابن علي الشريف بآقبو، وكذلك سيدي منصور بآيت جنود، ومعظم أصحاب هذه الزوايا كانوا ساخطين على الأتراك[2].

ولم تخلو المناطق الجنوبية من الزوايا، إذ كان العديد منها منتشرا في الكثير من الواحات الصحراوية والقصور القديمة، ولعل من أبرز هذه الزوايا، الزاوية القادرية بمنطقة توات بالجنوب الغربي للصحراء، وتامنطيط وتيميمون وعين صالح باقليم تيديكيلت، وقد لعبت هذه الزوايا الدور الأساسي في تجميع سكان الصحراء، كما استقطبت الطلبة من القصور العديدة المجاورة للإقليم، كما كان لها الدور الكبير في نشر الإسلام في جنوب الصحراء، كما كان لها علاقة وطيدة باقليم الشمال والمناطق الجنوبية، سواء مع منطقة تمبكتو أو تافيلالت أو السودان الشرقي والغربي[3].

أما الزاوية التجانية بمدينة الأغواط وتماسين، فلعبت هي الأخرى الدور الأساسي في نشر الإسلام في القارة الإفريقية، و وصل تأثيرها حتى السنغال ونيجيريا والغابون ونحوها من دول القارة السمراء، هذا فضلا عن الطريقة الرحمانية التي انتشرت بوادي سوف، والتي يعود تأسيسها إلى سنة 1820م، وهي إحدى فروع الرحمانية ببلاد

---

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص.265.

[2] نفسه، ج1، ص ص.265- 266.

[3] مريوش، **مرجع سابق**، ص ص. 168-169.

القبائل، وقد لعبت هذه الأخيرة دورا منوطا في حلق الدرس والتكوين الديني، وتخرج منها علماء كثيرون[1].

[2]

[1] مريوش، **مرجع سابق**، ص.169.

[2]